

أحاديث رمضان ١٤٣٦ . درر ١ . الحلقة الثالثة : الإيثار .
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-٠٦-٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ بلال :

وتركي مواساة الأخلاء بالذي تنال يدي ظلم لهم وعقوق
وإني لأستحيي من الله أن أرى بحال اتساع والصديق مضيق

إنه الإيثار درة من درر الإسلام ، وصف ربنا جلّ جلاله مجتمع المؤمنين بمدينة رسول صلى الله
عليه وسلم ، فقال :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً
مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَوَلَّكَ اللَّهُ
الْمُقَلِّحُونَ ﴾

[سورة الحشر : ٩]

فهلما بنا نتعلم الإيثار ونعيشه واقعاً في
حياتنا ليغدو المجتمع المؤمن كلاً
متماسكاً متكاتفاً فهيا بنا .

بسم الله ، الرحمن علم القرآن ، خلق
الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام
على النبي العدنان وعلى آله وأصحابه
ومن تبعهم بإحسان ، أهلاً وسهلاً بكم
أخوتي المشاهدين أينما كنتم ، أسعد الله
أوقاتكم بالخير واليمن والبركات



المستوى الأول للإيثار أن تؤثر رضا الله على حظوظ نفسك

والطاعات ، وإلى لقاء جديد بصحبكم ومع درة جديدة من درر الشريعة الإسلامية نحاوّر فيها
كالمعتاد فضيلة أستاذنا الدكتور محمد راتب النابلسي ، حياكم الله .

الدكتور راتب :

بارك الله بكم ونفع بكم .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم درتنا اليوم هي الإيثار ، والإيثار خلق إسلامي رفيع ، وفيه قوله تعالى في وصف المؤمنين :

﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

[سورة الحشر : ٩]

وللإيثار مستويان كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى ، المستوى الأول من الإيثار أن تؤثر رضا الله على حظوظ نفسك ، كيف يؤثر المؤمن رضا الله عز وجل على حظوظ نفسه ومصالحته المتوهمة ؟

الإيثار :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى صحابته الغر الميامين ، أمناء دعوته ، وقادة ألويته ، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين .



عندما تؤثر النوم على صلاة الفجر فقد أثرت مصلحتك على طاعة الله

أقرب مثل أن الإنسان حينما يأوي إلى فراشه وهو مرتاح ، والفراش دافئ ، والنوم عميق ، ويؤذن المؤذن لصلاة الفجر ، فإذا أثر راحته وبقائه في الفراش الوثير على طاعة الله في صلاة الفجر فقد أثر مصلحته وراحته على طاعة الله ، هذا الإيثار بالمفهوم العكسي ، أما إذا ألقى الغطاء عنه ووقف وتوضأ وصلى الآن ينام بعد

الصلاة براحة نفسية عجيبة ، فالإنسان حينما يؤثر حظوظ نفسه على طاعة الله يبتعد عن الله ، أما حينما يؤثر طاعة الله على حظوظ نفسه فيتقرب إلى الله ، والمؤمنون من صفاتهم التي ذكرها القرآن :

﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

[سورة الحشر : ٩]

طبعاً الإيثار مستويات كثيرة ، بين الأمر الإلهي وبين حظ نفسك ، أن تؤثر أمر الله على حظ نفسك ، وأنا أقول : ما من إنسان على وجه الأرض يؤثر طاعة الله على حظ نفسه إلا ارتقى وتألّق وسعد في الدنيا والآخرة .

الأستاذ بلال :

ولعل الآية الكريمة :

﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ﴾

[سورة التوبة : ٢٤]

تخدم موضوع الإيثار ؟

من أثر حظ نفسه على النص القرآني فهو في حجاب عن الله :

الدكتور راتب :

تخدمه في الصميم ، قال تعالى :
﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ
وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا
وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ
تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا ﴾

[سورة التوبة : ٢٤]

أي الطريق طويل ، ما دام الإنسان يؤثر

حظه نفسه ، أو يؤثر شهرته ، أو يؤثر مصلحته على النص القرآني فهو في حجاب عن الله ،
والطريق إلى الله طويل ، وقد لا يصل .

الأستاذ بلال :

ولعل ثمرة حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

الفرق بين حلاوة الإيمان و حقائق الإيمان :

الدكتور راتب :

الحقيقة كما تفضلت كلمة حلاوة الإيمان كلمة من كلام صلى الله عليه وسلم



فالإيمان له حقائق وله حلاوة ، حقائق الإيمان أن تفتني مصور لأحدث سيارة، طبعاً التصوير رائع جداً ، ألوان السيارة، الفرش الداخل ، الإطلالة من السيارة ، الطرقات في الجبال وهي تسير ، هذا كاتالوج صور ، أما أن تمتلك السيارة

الإيثار

وأن تركيبها فهذه حلاوة الإيمان ، يوجد معلومات ويوجد حلاوة :

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ...))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أنا حينما أبقى بالمعلومات والخارطة والأبعاد والمسافات والمقاييس والصور ، هذه حقائق ، أما حينما أسكن هذا القصر ، قد أقدم لك خارطة عن قصري ، البهو ثمانية بستانة ، الحدائق ، الإطلالة ، البحيرات ، الورود ، الزهور ، غرف الاستقبال ، غرف النوم ، غرف المعيشة ، صور عن القصر ، فرق كبير وكبير وبين أن أمتلك هذه الصور وبين أن أمتلك هذا القصر وأن أسكن فيه ، أنا أرى أن الصحابة ذاقوا حلاوة الإيمان فكانوا رهباناً في الليل فرساناً في النهار ، ذاقوا حلاوة الإيمان ، وصلت فتوحاتهم إلى مشارف الصين شرقاً وإلى مشارف باريس غرباً ، ذاقوا حلاوة الإيمان فكانوا أبطالاً ، وكانوا بين الأبطال مثلاً ، فحقيقة الإيمان شيء دقيق جداً ، أما إذا اكتفينا بمظاهر الإيمان ، اكتفينا بأشياء لا تقدم ولا تؤخر ، اكتفينا أن ننتمي إلى الدين انتماء شكلياً ، أن نعجب بالدين إعجاباً سلبياً ، ألا نجاهد أنفسنا وأهواءنا ، ألا نقيم الإسلام في نفوسنا أولاً ، وفي بيوتنا ثانياً ، وفي أعمالنا ثالثاً ، هذه العلاقة الشكلية مع الإسلام ليس لها ثمار يانعة لذلك تمل أحياناً

أما الذي يجعلك تتألق ، أنا أقول مثلاً من هو الشاب ؟ الشاب أي إنسان كانت أهدافه أكبر منه ، هدفه الله عز وجل ، فهو في شباب دائم ، ولو كان في التاسعة والتسعين ، لأن هدفه أكبر منه ، وأي إنسان ولو كان في الأربعين هدفه المال ، حصل المال ، ورث عن أبيه مالاً كثيراً ، فلما حصل المال بعد موت والده هو انتهت سعادته كأنه شيخ



بالمعنى السلبي ، فبين أن يكون هدفك أكبر منك فأنت في شباب دائم ، وأنا أقول لكم : المؤمن لا يشيخ شاب دائماً ، و بين أن يكون هدفك صغيراً و كأنك شيخ بالمعنى السلبي .



أذكر مرة طرقت باب صديقي في العيد استقبلني والده ، قال : والله محمد غير موجود ، تفضل فدخلت إلى أن جاء صديقي حدثني والده بما يلي ، قال لي : عمري ثمان وتسعون سنة ، والبارحة

عندما يكون هدفك أكبر منك تسعى له فأنت في شباب دائم

الإيثار

أجريت تحاليل كاملة ، و الفضل لله كله طبيعي ! ثم قال لي : والله ما عرفت الحرام في حياتي ، لا حرام المال ، ولا حرام النساء . أنا ربطت بين هذه الصحة المتألفة في الثامنة والتسعين وبين هذا العمر المديد .

عالم آخر لما سئل عن هذه الصحة التي حباه الله بها وكان في السابعة والتسعين، وكانت قامته منتصبه ، وبصره مرهف ، وسمعه حاد ، وأسنانه في فمه ، وكان يقول: يا بني حفظناها في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر ، من عاش تقياً عاش قوياً .

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم أستاذنا الكريم وشكر لكم ، الآن أريد أن أنتقل إلى المحور الثاني ولكن الوقت قصير فأردت أن أتمم ما بدأنا به :

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ...))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أريد الثمن الأول لأنه يتعلق بالإيثار .

من أثر طاعة الله على حظ نفسه كسب الدنيا والآخرة :

الدكتور راتب :

الأول :

((...أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا..))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أن يكون الله أي في قرآنه ، ورسوله أي في سنته ، أحب إليه مما سواهما ، متى؟ عند التعارض ، حينما تتعارض مصلحة الإنسان المتوهمه والمادية مع نص شرعي ويؤثر النص الشرعي ، وطاعة الله ورضوانه دفع ثمن حلاوة الإيمان .

((ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ ...))

[متفق عليه عن أنس بن مالك]

أنا حينما أوثر تطبيق النص الشرعي ، أوثر إرضاء الله عز وجل ، أوثر طريق الجنة على حظ نفسي من أي شيء ، أنا دفعت ثمن حلاوة الإيمان ، وحلاوة الإيمان لا يعرفها إلا من ذاقها ، تجعل الإنسان بطلاً ، تجعله متوازناً ، تجعله راضياً ، تجعله متألقاً ، تجعله ذا



شخصية قوية ، تجعله أكبر من همومه كلها ، الإنسان أكبر من أكبر مشكلة إذا عرف الله وإلا فهو أصغر من أصغر مشكلة ، إما أن يكون أكبر من أكبر مشكلة أو أن يكون أصغر من أصغر مشكلة ، فذلك الإنسان إذا آثر طاعة الله على حظ نفسه كسب الدنيا والآخرة .

((من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى الناس عنه ، ومن التمس رضا

الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط الناس عليه))

[الترمذي والإمام أحمد عن عائشة أم المؤمنين]

الأستاذ بلال :

أستاذنا هذا المفهوم الأول للإيثار وهو أن تؤثر رضا الله عز وجل على حظوظ نفسك ، لو انتقلنا إلى القسم التالي .

الدكتور راتب :

لكن لحظة من آثر طاعة الله على حظ نفسه ربح الدنيا والآخرة معاً ، ومن آثر مصلحته وحظه من الدنيا على طاعة الله خسر الدنيا والآخرة معاً .

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم القسم الثاني من الإيثار أن يؤثر أخي في أمور الدنيا ، قبل أن نتحدث في أمور الدنيا ، هل هناك إيثار في الطاعات ؟ في القربات ؟ أن يؤثر أخي في قرية من الله عز وجل ؟

لا إيثار في الدين :

الدكتور راتب :

أبداً مستحيل ، أنا لا أقدم خدماتي لوالدتي أو لوالدي أو لغيرهم من هذه الخدمات ؟ هذه مستحيلة ، لا إيثار في الدين ، لا إيثار في أوامر الله ، لا إيثار في طاعة الله ، لا إيثار في طريق الجنة ، لا يمكن ، ليس هذا إيثاراً هذا تتصلاً ، يعد تتصلاً وانسحاباً من أوامر الدين .

الأستاذ بلال :

بعض الناس نسأل الله العافية يبذلون الدين من أجل الدنيا .

المدارة و المداهنة :

الدكتور راتب :

الآن دخلنا في مصطلحين ؛ مصطلح المدارة ومصطلح المداهنة ، أنا حينما أبذل الدنيا من أجل الدين فأنا أداري ، بعثت لمدارة الناس ورد في الأثر النبوي ، أما حينما أضحي بحظي من الدين من أجل الدنيا ، حينما أبذل الدين من أجل الدنيا فهذه مداهنة ، وقال تعالى :

﴿ وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ ﴾

[سورة القلم : 9]



المدارة بذل الدنيا من أجل الدين والمداهنة بذل الدين
من أجل الدنيا

المداهنة رذيلة والمدارة فضيلة ، فرق كبير بين المدارة وبين المداهنة ، المدارة بذل الدنيا من أجل الدين ، أما المداهنة فبذل الدين من أجل الدنيا ، فحينما يفتي الإنسان بفتوى ليس قانعاً بها أصلاً هو ، وليست في مرضاة الله أبداً ، لكن تقريباً من قوي ، هذه مداهنة:

﴿ وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾

[سورة القلم : ٩]

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم أستاذنا الكريم في محورنا الأخير أننتقل إلى مفهوم الإيثار الشائع وهو أصل من أصول الإيثار وهو أن أوثر أخي في شيء من أمور الدنيا ، قال تعالى :

﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

[سورة الحشر : ٩]

يصف مجتمع المؤمنين يوم أثر الأنصار المهاجرين بما يملكون ويقول له : هذا بيتي وهذا مالي وهذا وهذا إلى آخره ، أريد أن أتحدث عن هذا المفهوم .

إيثار الآخرين على النفس في أمور الدنيا :

الدكتور راتب :

هذا الذي ذكرته بارك الله بك له تنمة ، الصحابة أثروا المهاجرين بكل شيء ولكن الآخرين تعفوا تعفوا مذهباً ، هذا نصف مالي ونصف بيتي ونصف حانوتي ، قال له : بارك الله لك في مالك ، ولكن دلني على السوق . نحن إذا ذكرنا إيثار الصحابة للمهاجرين قد نغفل عن موقف المهاجر المتعفف لدرجة لا تصدق ، بارك الله لك في مالك ، ولكن دلني على السوق . هذه الحياة جنة الأول يؤثر والثاني يتعفف ، في الدنيا جنة من لم يدخلها لن يدخل جنة الآخرة ، وفي متعلقات هذا اللقاء الطيب وأن تؤثر أخاك على ما تحب فهذه جنة .

الأستاذ بلال :

﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾

[سورة الحشر : ٩]

أستاذنا الكريم من ثمار الإيثار الياينة تألف المجتمع وتماسكه .

ثمار الإيثار :

الدكتور راتب :

الألفة ، والمودة ، والمحبة ، والصف الواحد الذي لا يخرق ، والتعاون ، والتناصح.

الأستاذ بلال :

أستاذنا الكريم الإيثار قيمة عظمى ، ونحن جميعاً بحاجة إليها في مجتمعاتنا بدءاً بالبيت ، بعض الناس وبعض الآباء أو بعض المربين يظن أن من هيبته أو من مكانته ألا يتواضع أو يؤثر غيره في حظوظه ، ماذا نقول لهؤلاء ؟

المجتمع الذي يؤثر بعضه بعضاً مجتمع متماسك و محب :

الدكتور راتب :

والله نقول لهم : أنت حينما تؤثر الآخر وقد يكون قريباً تؤثره على حظ نفسك ترتقي عند الله وعند أخيك ، هذا المجتمع المؤمن مجتمع متماسك ، أحد أسباب التماسك الإيثار، أنا لا يمكن أن آخذ الشيء الذي يعجبني و أدع لأخي الدرجة الثانية ، أنا أفعل العكس دائماً ، أيضاً الذي يحصل أن الآخر يؤثرك أيضاً ، أنت حينما تؤثره هو يؤثرك بموضوع ثان ، تصور مجتمعاً يؤثر بعضه بعضاً ، هذا المجتمع متماسك لا يخرق ولا بشكل ، مجتمع محب :



((وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ،
وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ،
وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ ، الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي
لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ ، يَغِطُّهُمْ النَّبِيُّونَ
وَالشَّهَدَاءُ))

[الترمذي ومالك عن معاذ بن جبل]

بالإيثار يصبح المجتمع المؤمن مجتمعاً متماسكاً

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم أستاذنا الكريم ، إذاً أنا أؤثر أخي وهو يؤثرني ، أنا أؤثره وهو يتعفف كما كان وضع المهاجرين والأنصار يقول : بارك الله لك في مالك ، ولكن دلني على السوق . وهذا من خلق الإسلام الرفيع ، أستاذنا الكريم هنا أذكر قصة رواها حذيفة العدوي ، قصة مشهورة ، يقول :

((انْطَلَفْتُ يَوْمَ الْيَوْمِوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّي ، وَمَعِيَ شَنْةٌ مِنْ مَاءٍ ، وَإِنَاءٌ ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَعُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَسْقِيكَ؟ فَأَشَارَ أَنْ نَعَمْ ، فَإِذَا رَجُلٌ ، يَقُولُ : آه ، فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنْ انْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ : أَسْقِيكَ ؟ فَسَمِعَ آخَرَ ، يَقُولُ : آه ، فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنْ انْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ ابْنَ عَمِّي ، فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ))

[الزهد والرقائق لابن المبارك عن حذيفة العدوي]

ما هذه الحالة التي كانوا عليها وهم في آخر لحظة من لحظات حياتهم ؟

من خلق الإسلام الرفيع إيثار الآخرين على النفس في كل شيء :

الدكتور راتب :

والله هذه الحالة أنا أعدها وسام شرف بحق هذه الأمة ، الإنسان وهو جريح وعلى مشارف الموت وفي أمس الحاجة إلى شربة ماء وهو في هذه الحالة الصعبة جداً يؤثر أخاه ، والأخ يؤثر أخاه ، والأخ يؤثر أخاه ، وماتوا جميعاً على أجمل طاعة لله عز وجل .

الأستاذ بلال :

مسك الخاتمة .

الفرق بين مجتمع المؤمنين و مجتمع المتفلقين :

الدكتور راتب :

أذكر مقابلها باخرة غرقت وركب بعض الناجين في قوارب ، كلما غفل أحدهم ألقوه في البحر من أجل شربة ماء .

الأستاذ بلال :

هذه أثره .

الدكتور راتب :

بين مجتمع المؤمنين ، ومجتمع المتفلقين ، مسافة كبيرة جداً ، قال تعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾

[سورة الماعون: ١-٢]

الأستاذ بلال :

بارك الله بكم ، ونفعنا بما سمعنا ، وجعلنا إن شاء الله ممن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، وأنتم أخوتي المشاهدين لم يبق لي في ختام هذا اللقاء الإيماني إلا أن أشكر لكم حسن المتابعة ، راجياً الله تعالى أن نلتاقم في حلقة جديدة من درر الشريعة ، وحتى ذلك الوقت أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين